

وكذلك ترجمه الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن أسعد اليافعي رحمته الله وذكره بالعرفان والولاية ولقبه الشيخ أبو مدين رحمته الله بسultan العارفين وكلام الرجل أدل دليل على مقامه الباطن وكتبه المشهورة بين الناس لا سيما بأرض الروم فإنه ذكر في بعض كتبه: صفة السلطان جد السلطان سليمان بن عثمان الأول وفتحه القسطنطينية في الوقت الفلاني فجاء الأمر كما قال وبينه وبين السلطان نحو مائتي سنة وقد بنى عليه قبة عظيمة وتكية شريفة بالشام فيها طعام وخيرات واحتاج إلى الحضور عنده من كان ينكر عليه من القاصرين بعد أن كانوا يبولون على قبره رحمته الله.

وأخبرني أخي الشيخ الصالح أحمد الحلبي أنه كان له بيت يشرف على ضريح الشيخ محيي الدين فجاء شخص من المنكرين بعد صلاة العشاء بنار يريد أن يحرق تابوت الشيخ فخسف به دون القبر بتسعة أذرع فغاب في الأرض وأنا أنظر ففقده أهله من تلك الليلة فأخبرتهم القصة فجاءوا فحفروا فوجدوا رأسه كلما حفروا نزل وغار في الأرض إلى أن عجزوا ورددوا عليه التراب ^(١).

وكان رحمته الله أولاً يكتب الإنشاء لبعض ملوك العرب ثم تزهد وتعبد وساح ودخل مصر والشام والحجاز والروم وله في كل بلد دخلها مؤلفات، وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ الإسلام بمصر المحروسة . يحط عليه كثيراً فلما صحب الشيخ أبا الحسن الشاذلي رحمته الله وعرف أحوال القوم صار يترجمه بالولاية والعرفان والقطبية مات رحمته الله سنة ثمان وثلاثين وستمانه وقد سطرنا الكلام على علومه وأحواله في كتابنا "تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء" فراجعوا والله تعالى أعلم.

٢٨٩- ومنهم الشيخ داود الكبير بن ماخلا رضي الله تعالى عنه : شيخ سيدي محمد وفا الشاذلي رحمته الله

وكان رحمته الله شرطياً في بيت الوالي بالإسكندرية وكان يجلس تجاه الوالي وبينهما إشارة يفهم منها وقوع المتهم أو براءته فإن أشار إليه أنه بريء عمل بإشارته أو أنه فعل ما أتهم به عمل بذلك وكانت إشارته أنه إن قبض على لحيته وجذبها إلى صدره علم أنه وقع وإن جذبها إلى فوق علم أنه بريء وله كلام عال في الطريق وكان أمياً لا

(١) هدد فصوص و حكايات يرديها العامة حتى الآن عن اناس اخرين وليس لذلك اساس او دليل.

يكتب ولا يقرأ.

ومن كلامه عليه السلام في كتابه المسمى «بعيون الحقائق» في قوله عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» على قدر ارتقاء همته في نيتك يكون ارتقاء درجتك عند عالم سريرتك.

وكان عليه السلام يقول: إنما كانت العلة والأسباب لوجود البعد والحجاب من استنار قلبه علم أن الخضوع لرب الأرباب حتم لازم للعبد من غير العلة.

وكان عليه السلام يقول: للولي نوران نور عطف ورحمة يجذب به أهل العناية ونور فيض وعزة يدفع به أهل البعد والغواية لأنه يتصفح بين دائرتي فضل وعدل فإذا أقيم بالفضل ظهر فنجذب فننفع وإذا أقيم بالعدل والعز حجب فخفى ودفع ولذلك أقبل بعض وأدبر بعض.

عليه السلام يقول: كلما ازداد علم العبد زاد افتقاره ومطلبه وعلت همته لأنه في حال جهله يطلب العلم وفي حال علمه يطلب جلاء العلوم والمعلومات درجات لا غاية لمنتهاها ولا حد لعلوم مرماها فواعجبا من لوعة كلما ارتوت زاد تأججها وضرامها.

وكان يقول: أسرار يتنزل العلم عليه وأسرار تترقى هي إليه وأعلاهما أولاهما لأن العلم إذا ورد عليها صارت هي عينا فيه فتخفي رسومها وتتضح علومها وتصدق شواهدا وأما إذا ترقى الأسرار إلى العلوم فإن طعم كأسها يشوب طعمها وتنزل خلع مواهبها قريبا من جنس لباسها فيحصل فيها ضرب من الإخفاء والإشكال.

وكان يقول: عالم الظاهر كلما اتسع علمه اتسع في الوجود وفشا وعالم الباطن كلما اتسع علمه وعلا دق عن الإدراك ومال إلى الخفاء لأن العالم بالخفاء خفي عكس الظاهر وأيضا فإن عالم الظاهر ينقض علمه بانقضاء هذه الدار لأنه منوط بالتكليف وإنما يبقى له إذا صدق وأخلص لله الجزاء والثواب.

وكان يقول: من أعظم المواهب بعد الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسوله الإيمان بنور الولاية في حلقه سواء ظهرت في ذات العبد أو في غيره من العباد فإنه كما هو مطلوب أن يؤمن بها في غيره كذلك مطلوب أن يؤمن بها في نفسه.

وكان عليه السلام يقول: الناس صنفاً صنفاً اشتغل بالدنيا وإقامة دولتها وشعائرها

دينها فهو في كفالة علماء المساميين، وصنف سمت هممهم بعد أن حصلوا ما حصل الأولون إلى فهم الأسرار وطلبوا من يسير بها في منازل التحقيق فهم في كفالة العارفين.

وكان رضي الله عنه يقول: لا يكن أكبر همك من العبادة إلا القرب المعبود دون الأجر والثواب فإنه إذا من عليك بالدخول إلى حضرته فهناك الأجور وأعلى منها ثم ينعم عليك حتى تكون أنت منعما على ذلك.

وكان يقول: الحزء لا يطيق حمل الكل، وكان رضي الله عنه يقول من صحت ولايته من رجل كبير أحاط نوره بسره سرا وجهرا وكان لا يدخل حضرة من حضرات القرب إلا وهو معه وكان رضي الله عنه يقول: إذا نطق المحجوب بغرائب العلوم وعجائب الفهوم فلا تستغربن ذلك فإن مداد قلم الغيوب فياض.

وكان يقول: حاشى قلوب العارفين أن تخبر عن غير يقين.

وكان يقول: لسان العارف قلم يكتب به في ألواح قلوب المريدين، فربما كتب في لوح قلبك ما لم تعلم معناه وبيانه عند ظهور آياته.

وكان رضي الله عنه يقول: القلب نور الروح والروح ظل نور السر والسر مظهر تجلى أشعة الحقيقة الأولى في نوائل عوالم التكوين والنفس عبارة عن توجه القلب إلى سياسة العالم الشهادي والتفاتة إلى تدير عالم شهادته.

وكان يقول: إقبال القلب مع لا إله إلا الله خير من ملء الأرض عملا مع الإعراض عن الله عز وجل وكان يقول: العارف أثره في الآخذين عنه يامداده وأنواره أكثر من آثارهم فيهم بأذكارهم وأعمالهم.

وكان رضي الله عنه يقول: قلب العارف كالنار لواحة للبشر لا تبقى ولا تذر.

وكان يقول: الذنب الأعظم شهود ما سوى الله أي شهوده ثابتا بنفسه.

وكان يقول: إقبال القلب على الله حسنة يرجى أن لا يضر معها ذنب وإعراض عن الله سيئة لا يكاد ينفع معها حسنة.

وكان رضي الله عنه يقول شهود الغافل سم قاتل.

وكان يقول: إذا أكرم الله عز وجل عبدا طوى عنه شهود خصوصيته وأقامه في تحقيق عبوديته فالعبد إذا كان غائبا عن مراعاة حقوق عبوديته خيف عليه من

السطح والانبساط وتعدي عن حدود الأدب والعدول عن سواء انصراط.

وكان يقول: النبي ﷺ يؤمر والولي يلهم.

وكان ﷺ يقول: قلوب المؤمنين تحت ظل قلوب الأولياء، وقلوب الأولياء تحت ظل قلوب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقلوب الأنبياء تحت ظل أنوار العناية والإمداد تنزل فيما بين ذلك ويتلوها الشاهد منه.

وكان يقول: ليس الشأن الخفاء في الخفاء إنما الشأن الخفاء في الظهور.

وكان يقول: من أعظم أبواب الفتح يقظة العبد من غفلته.

وكان يقول: احذروا هذه النفوس فإن لها في الطاعات غوائل وآفات.

وكان يقول: من نظر إلى الأكوام نظر قلب عوقب بالحجاب أو بالحساب أو بالعذاب.

وكان يقول: بنور النبوات يتضح الإيمان وتثقل الأعمال وبنور الولاية تزكو العبادات وتثمر الأحوال.

وكان ﷺ يقول: إذا لم يكن ابن آدم عمالاً في مصالح الدنيا والآخرة فهو كالجماذ في ذلك الوقت وإن اشتغل بالعصية والشر فهو كالشيطان وإن اشتغل بأمر الدنيا والآخرة فهو كالحيوان وإن اشتغل بفكره فيما هو لله تعالى فهو كالملك فانظر رحمك الله تعالى إلى درجة من تريد أن تلحق.

وكان يقول: من الأولياء من يتكلم من خزانة قلبه ومنهم من يتكلم من خزانة غيبه فالمتكلم من خزانة قلبه محصور والمتكلم من خزانة غيبه غير محصور.

وكان يقول: كلما قويت الظلمة في قلوب الخلائق نطقت السنة العارفين بصرائح الحقائق وذلك لأنها أمنت من ملاحظة النظائر.

وكان يقول: إذا سكنت إلى ما نلت فما نلت لأن العطاء محرك الأشواق إلى لقاء المعطي وإن نلت فهيجك العطاء إلى المعطي فتلك بشارة على وجود العطاء.

ومن هنا قال بعضهم ليس لله على كافر نعمة إنما هي نقمة.

وكان يقول: جلبت الحقيقة أن تكون البشرية محلاً لتلقيها ولكن إذا أراد أن

يوصلها إليك انبسط شعاع سلطان شعاعها فمهد في قلبك محلاً لتلقيها فيها وجدتها لا بك.

أعارتته طرفاً راهاباً به فكان البصير بها طرفها
وكان رضي عنه يقول: جلت الحقيقة أن يكون لها جزء من المخلوقين إنما يطلب
جزأؤها من رب العالمين.

وكان يقول: لا يصح من مريد أن يجازي أستاذه الذي أخذ عنه أبداً لأن ما
استفاده منه لا يقابل بالأعراض .

وكان يقول: قلوب علماء الظاهر وسائط بين عالم الصفاء ومظاهر الأكدار
رحمة بالعامّة الذين لم يصلوا إلى إدراك المعاني الغيبية والإدراكات الحقيقية.

وكان رضي عنه يقول: أهل التصوف قوم ساروا عن الأجساد إلى ما وراءها فنزلوا في
حضرة الوفاء وحلوا في محل الصفاء.

وكان يقول: من أعجب العجب محب وقف بباب غير باب الحبيب.

وكان رضي عنه يقول: ألح على الكرام في السؤال وإن لم تكن أهلاً للعطاء فإن لهم
أخلاقاً جميلة.

وكان رضي عنه يقول: ما ذل قلب قط لبارئه إلا أفاده نوراً وخيراً.

وكان رضي عنه يقول: ما وقفت همة مريد في سيرها إلى الله تعالى عند كون لكون
قط إلا ناداه منادي التحقيق أثبت وجود ما أنت واقف معه.

وكان يقول: لا تجعل مستند إيمانك نتائج الفكرة البشرية بل فر من ذلك إلى
الله تعالى وإلى رسوله صلّى الله عليه وآله واستعد بالله منه واطلب ذلك من مدد الله عز وجل .

وفي رواية أخرى عنه: إن أردت سلوك المحجة البيضاء والوصول إلى ذروة أهل
التقى والافتداء بأهل الرتبة الأولى فإياك أن تجعل دينك وإيمانك من نتائج العقول
والأفكار أو مستندا إلى أدلة النظائر بل عرج إلى المحل الأعلى والمنزل الأعز الأحمى
واستمد البركات والأنوار من رسول الله صلّى الله عليه وآله واسأل الله تعالى أن يمن عليك بمدد من
عنده يغنيك به عن كل شيء سواه ويهديك بنوره إليه حتى لا تشهد في ذلك إلا إياه.

وقل رب اني اعوذ بك أن يكون إيماني بك وبما أنزلت وبمن أرسلت مستفادا من فكرة مشوبة بالأوصاف النفسية أو مستندا إلى عقل ممزوج بأمشاج الطينية البشرية بل من نورك المبين ومددك الأعلى ونور نبيك المصطفى.

وكان ﷺ يقول: إن أردت الوصول إلى معرفة نور الولي فاطلب الله تعالى فهناك تجده لأنهم ودائع غيبه وخبايا حضرته.

وكان يقول: لا تطلب من الأعمال والعلوم والأحوال خلوصها من كل الشوائب البشرية لنلا تكلف شططا وتظن وجود ما لا يمكن وجوده سهوا وغلطا بل من بين فرث الماء والطين ودم ذلك الأمر الخفي عن إدراك المدركين لبنا خالصا سائغا للشاربين.

وكان ﷺ يقول: لا يهولنكم كثرة عدد الفجار وقلة عدد الأخيار فإن أولئك وإن كثر عددهم أمرهم صغير حقير، وهؤلاء وإن قل عددهم فأمرهم واسع كبير أولئك كثرت ضلال ظواهرهم ومعانيهم الزائلة الدنية التي هي غير حقيقية فهو كالعالم الثاني من نبات وخشاش ونحو ذلك من نبات قوالب خالية من المعاني العلية النورانية وسكانها يوم النفوس الخسيسة الأرضية ومعالم عمارها رذائل المعاني الحيوانية وصفات الأشكال الشيطانية كثيرهم قليل وعزيزهم ذليل وهؤلاء الأخيار قل عدد ظواهرهم وكثر عدد سرائرهم يوزن الرجل منهم بعدد كثير من جنسه الأبرار فما ظنك بأولئك الذين لا وزن لهم بالنسبة إلى سعة أنواره، وما قدر أولئك الذين لا قدر لهم مع عظيم مقداره.

وكان ﷺ يقول: كلما جدد العبد المؤمن بالصدق حقيقة الإيمان اقتضى تجديده ذلك فناء عوالم الأكوان.

وكان يقول: النعمة العظمى الانطواء بالفناء الأكبر في ظل الغنى الأعظم وقال تعالى: ﴿ثُمَّ دَرَّهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾^(١) وفي الحديث «كان الله ولا شيء معه» وقالوا:

فلو تسأل الأيام ما اسمي ما درت وأين مكاني ما عرفن مكاني

وكان يقول: ليس الرجل من يصف لك دواء تستعمله إنما الرجل من داواك في حضرته.

وكان يقول: أعلى النور ما غاص في القلوب والأسرار ولم يظهر إلى انقضاء هذه الدار وذلك لأنه أثبت وأقوى وأرفع وأعلى مما يسرع ظهوره وتأمل حبات النبات البطيء ظهورها تجدها أثبت وأقوى وأرقى وأرفع مما ليس كذلك.

وكان يقول: لا تبع ذرة من المحبة لله تعالى أو في الله بقناطر من الأعمال، قال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب».

وكان يقول: إن الرجل ليعانق الرجل وإن بينه وبينه لأبعد مما بين المشرق والمغرب.

وكان ﷺ يقول: للسر لسان وللروح لسان وللقلب لسان وللعقل لسان علموا ذلك من مواطن أصول لسانهم وغيوبهم الأصلية، والعارف الكامل يخاطب كلا منها بلسانه ولغته ويسقيه بكأسه من شرابه.

وكان ﷺ يقول: ما ظهر متصلص كون إلا عند غيبة حارس المعرفة ولولاها ما لاح متصلص كون أبدا وإن شئت قلت تنوعا لمثل التوصيل ما لاح كوكب كون إلا عند غيبة شمس المعرفة ومتى طلعت شمس المعرفة من مشارق التوحيد أفلت كواكب الآثار وغابت نجوم الأغيار ولو علم الناس قدر الولي لتأدبوا مع كل إنسان لأنه لا يلبس مثل لبسته وظاهر في مثل صورته.

وكان يقول: إذا امرك أمر العلم وزجرك زاجره فانتصر لأمره وقف عند وجود زجره وإن كان مقامك أعلى ورتبتك في منازل القرب أدنى أدبا مع الله تعالى ووفاء بحق حكمته ووقوفاً مع حدود الأوامر الإلهية إذ من تمام أدب جليس الملك أن يتأدب إذا زجره صاحب الباب تتميماً لدوائر الملك وتأدبا بآدابه.

وكان ﷺ يقول: ما ظهر كون قط علوي ولا سفلي إلا وهو دليل أو مثال على حضرة ربانية ونور معرفة خفية وثم معارف لم يظهر لها مثال ولا تخطر لذي بصيرة على بال.

وكان يقول: سهم المعرفة متى وقف أمامه هدف إيمان قلب أصابه ولم يخطئه.

وكان يقول: نشأ هذا العالم على التدرّيج فإذا توجه الإنشاء للدائرة الأخرى والنشأة الثانية عادت السماء كالأب والأرض كالأم وكان المتولد واحدا دفعة واحدة وثبتت حبات نبات الآدميين عن بطن الأرض نباتا واحدا .

وكان يقول: إذا نطق لسان العارف بالمعرفة صمت وجوده كله وكان يقول: لو علمت النفوس قدر ما تدعي إليه لكانت تسابق داعيها إليه، وكان يقول: لا تشرب من شراب الدنيا إلا بعد أن تمزجه بشراب الآخرة وذلك لتكون محفوظا .

وكان عليه السلام يقول: ما من وقت جديد إلا وفيه مدد جديد يتلقاه كبراء الوقت ووسائطه وهم أرباب التلقي للمدد الوقتي وسفراؤه قد ورد الأثر «إن لربكم في دهركم هذا نفحات ألا فتعرضوا لنفحات رحمة الله تعالى» فأشار إلى المدد الوقتي .

وكان عليه السلام يقول: ما وردت حقيقة على عارف قط إلا وذهب شاهده تحت سلطان أنوارها وأما السامع منه فيمكن بقاء شاهده مع وجود تلقيها منه لأنها وردت من بشر إليه وكان يقول: خفيت الأرواح في الأشباح لظهور الأشباح في هذه الدار فوق الاعتناء بالظواهر فشغل العبد بشهود ظاهره عن مراعاة القلوب والسرائر والموفق السعيد من زاحم لروحه فأظهرها وجاهد في إصلاح حقيقته فخلصها وحررها .

وكان يقول: ليس الشأن من تغرب عليك بتستير أمر بشريته إنما الشأن من أظهر أمرها وأوصافها ثم أبدى ذلك آثار التحقيق عليها وأبرز ذلك من مكنوناتها ذخائر الغيوب وفي ذلك إشارة لفهم قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾^(١) وكان يقول العارف لا يبقى مع غير الله تعالى بحال ولا يقف مع ما بدا له من الحق ومتى وقف معه حجب به عن ربه تعالى .

وكان يقول رب شارب دواء نافع ظن الشارب أنه ماء لكونه على صورته فكان فيه شفاؤه من جميع الأمراض كذلك الولي ربما عثر عليه من رآه في صورة العوام فوصله إلى حضرة ربه وهو عنه غافل لا يدري مقامه ثم إذا استنار قلبه عرفه ،

وكان يقول: إنما ثبت البشر لسلطان نور التجلي وتدكدك الجبل لأن طينة البشر عجنت من أصل أصيل بخلاف الجبل .

وكان يقول: الألسنة ثلاثة لسان نقل عن لسان، ولسان نقل عن قلب، ولسان نقل عن غيب فالناقل عن لسان حاك والناقل عن قلب عالم والناقل عن غيب عارف، فلسان اللسان هواء عن هواء ولسان القلب داع إلى هدى ولسان الغيب يشير إلى عالم المحق والفناء وانطوى الفرع الأدنى في الأصل الأعلى.

وكان يقول: مهر العلوم حسن الفهوم ومهر الحقائق الفناء تحت قهر سلطانها.

وكان يقول: نفس العارف المجعولة لسياسة معيشة الحياة الدنيا تلميذ تحت نور معرفته ومريد تحت يد أستاذ روجه وحقيقته تأخذ عنه مع جملة الآخذين وتستفيد منه مع جملة المستفيدين وتربي عنه كما يربي غيره من المريدين وتؤمن بخصوصيته كما يؤمن به من شاء الله من المؤمنين وهو معزول عن معرفة حقائق علومه الربانية ومقاماته العلوية لأن ذلك كله من الأسرار المغيبة التي لا يطلع علماء الظواهر منها إلا على ظواهر آثارها.

وكان يقول: إن لم يسمعك الغيب بالتجليات والأنوار فاسمعه أنت بالطاعة والأذكار.

وكان يقول: من تجددت له يقظات في وقت فذلك دليل على أنه له غفلات وأهل التخصيص لا يقظة لهم لأنه لا غفلة لهم.

وكان عليه السلام يقول: إذا كان مفتقرا في إنشاء نطفتك الإنسانية إلى خلقه وتصويرها فكيف لا تكون مفتقرا في هداية حقيقتك الأصلية إلى لطفه وتويره.

وكان يقول: قال الله عز وجل: يا عبدي إذا لقيتني وأنت لي عارف كتبت لك بعدد الأكوان حسنات.

وكان يقول: رب عبد كان يستصغر نفسه أن يكون موجودا فلما كسى خلعة الفضل صار يستحي من الله أن يرى الوجود الكوني مع الله شيئا مشهودا.

وكان عليه السلام يقول: عليك باستماع الأخبار الطرية التي لم تحدث عن وجود فكر وروية فإنها للقلوب.

وكان يقول: ذاتك مرآة وشكل ذاتك مرآة ذاتك، وكان يقول: إذا رأيت من رأى فقد رأيت، وكان يقول: كل حقيقة بدت فغاب تحت سلطانها شاهد شاهدها فذلك

مشهد حق وإن لم يرغب ففي شهود ذلك مزج وتلبيس.

وكان يقول: الأرواح في عين ذاتها لا صورة لها وإنما ذلك من حيث أشباحها ولذلك لما عصى بنو آدم بدت السوءة لانطواء الأرواح فإن عالم الأرواح إذا ظهر يشهد ربه ولا عصيان مع وجود ذلك.

وكان عليه السلام يقول: أعز الأشياء وجود الصدق في الطلب ويليه في العزة القبول وأعز منهما الظفر بالوصول.

وكان يقول: شينان لا يكاد القلب يثبت عليهما معرفة الله والخروج عما سوى الله تعالى.

وكان يقول: ليس الشأن تجلي حبيبك مع وجدان رقيبك إنما الشأن إن تجلي حبيبك مع فقدان رقيبك.

وكان يقول: العارف إن لم يطلبه الخلق ليصلوا بواسطته إلى الله تعالى طلبهم هو لاقتضاء حق الله تعالى.

وكان يقول: الجنة مطلوبة والنار طالبة ولهذا تعامل هذا بالطلب وهذه بالهرب.

وكان عليه السلام يقول: يرسل الوالد الشفوق ولده الطفل إلى الطبيب من حيث لا يشعر الطفل ويقال له تلطف به ولا تشقق عليه وإكرامك علينا ولا تكلفه معرفة دانه ولا معرفة مداواته كذلك يقال للعارف داو مرضى عبادنا إذا أتوك بتيسيرنا وهم لا يشعرون ولا تكلفهم معرفة دانهم ولا معرفة مداواتهم فإنهم ربما شق ذلك عليهم وعاملهم كما عاملناهم فإنك داع إلينا ومطالب بحقنا فقد دعوناهم إلى حضرتنا وحننا وهم بها غير عالين وبكنه حقائقها على الحقيقة غير عارفين.

وكان يقول: تتصارع الأسرار والأنوار ويدير كل واحد منهما كأسه على الآخر فيسكران من كأسهما فيغيبان عن وجودهما فلا أسرار ولا أنوار.

وكان يقول: نعمة وأي نعمة خطابهم لك ولو كلمة.

وكان يقول: غنما زهد العارفين في الدارين لرؤية ما هو أشرف وأعلى وأجل.

وكان يقول: المتأمل يعادي فعل نفسه والعارف يعادي ذات نفسه.

وكان يقول: لازم على قول لا إله إلا الله حتى تغيب عن لا إله إلا الله.

وكان يقول: إنما صد الناس عن العارف المحقق وجود شركهم لأن العارف يدفع بهم في حضرات الجمع والتفريد فتفر نفوسهم من حر نار الأنوار إلى ظل ظلال الأغيار.

وكان رضي الله عنه يقول: من أحب الله تعالى أحب كل ما كان سببا منه كما قال مجنون بني عامر:

أحب لحببها السودان حتى حبيت لحببها سود الكلاب

وكان رضي الله عنه يقول: للعارف إذا اشتكى آثار بشريته إنما نريد أن نعمر بك دوائر الحسن كما عمرنا بك دوائر القدس.

وكان يقول: خرج ابن آدم إلى الدنيا بجناح لحمي وفوقه سماء وتحتة نار فإن ربي جناحه وريشه طار وإن أهمله تركه سقط في النار وقد جاء في الحديث: «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة».

وكان يقول: من قهر القهار أن يشهدك ما يشهدك ولا تستطيع أن تسلكه ولا تعمل على مقتضاه إلا إذا شاء وأراد.

وكان رضي الله عنه يقول: كل شيء أردته وأنت محجوب فليس هو عين الأمر المطلوب.

وكان يقول: كلما ازداد عبد بالحضور ازداد الوقت به نورا.

وكان يقول: لا تأكل النار إلا محل الشرك إن كان كلا فكلا وإن كان جزء فجزءا وإنما نالت النار من بعض المؤمنين لأنهم كانوا بعصيانهم في خفاء من الشرك مشتملين.

وكان رضي الله عنه يقول: حقيقة السر لا تظهر لأحد في الدارين.

وكان يقول: لا يباح إظهار الأسرار عند الاضطرار إلا بفتاوى علمائها.

وكان يقول: لا يظهر لب حقيقة الإنسان إلا بإزعاج ظاهر طينته كما لا يظهر باطن لب إلا بعد إزعاج ظاهر قشرته.

وكان يقول: لا يلزم من ذكر أوصاف آداب المعاملات وجود الاتصاف بها لكنها

من المتصف بها أنفع لسامعها فإن غير المتصف بها قصده مدخول ونشر علمه في ذلك معلول.

وكان يقول: الحق تعالى لبني آدم ملأتم الأرض طولا وعرضا ولم يأتنا منكم إلا القليل.

وكان يقول: ما سكت عارف قط ولو نفسا إلا عقوبة لأهل زمانه وما تكلم قط كلمة إلا انتفع بها كل من سمعها.

وكان عليه السلام يقول: من غفلة العبد وعمى قلبه نسبته الأشياء لغير ربه.

وكان يقول: لن تستطيع أن تسلم من الشيطان اللصق بذات وجودك اللتقم باذن قلبك الجاري منك مجرى الدم إلا بر جوعك إلى من هو أقرب منه وهو الله تعالى.

وكان يقول: سينات الظواهر في طريق المعاملات في معرض العفو لكونها مخالفة للأوامر السمعية الواردة على الخلق من وراء الحجاب، بخلاف أنوار القلوب والأسرار إذا حصل فيها خلل فلا مغفرة لسيناتها ولا عوض عن فواتها قيل لبعضهم حين كان عنده خلل:

كل ذنب لك مغفو رسوى الإعراض عنا
قد غفرنا لك ما فا ت بقى ما فات منا

وكان يقول: ما تعقب ندامة قط وقتا فارغا أو مظلما إلا ملأته أو نورته.

وكان عليه السلام يقول: أولا تسمع، ثانيا تفهم، ثالثا تعلم، رابعا تشهد، خامسا تعرف.

وكان يقول: ابن آدم ذو عوالم ثلاث عالم إنساني وعالم شيطاني وعالم روحاني فه من حيث المعنى الطيني الجهل والنسيان ومن حيث الريح الشيطاني التكذيب والكفران والجحود والطغيان ومن حيث الوصف الروحاني التصديق والإذعان ثم اليقين والعرفان ثم الشهود والعيان.

وكان يقول: القلوب ثلاثة: قلب أرضي فالشيطان يأوى إليه وربما استحوذ بالإغواء عليه وقلب سماوي فهو يلقي إليه ويسترق السمع من نواحيه فهو ينال من سماع أخباره وربما رجم بشهاب من أنواره وقلب عرضي فهو أبدا لا يدانيه ولا يصل أبدا إليه.

- وكان يقول: أول مراتب السماع للقرآن غيبة السامع عن شهود الأكوان.
- وكان يقول: إذا أراد الله بعبد خيرا أوصل إلى قلبه العلوم الحقيقية المتلقاة من حضرة الربوبية بطريق ليس فيه إشكال على الظواهر الشرعية ولا تعدي القواعد العقلية.
- وكان يقول: الكون الشهادي كله منطو في ظاهرية آدم وظاهرية منطوية في معنى روحه غيب في طي النفخ فيه والنفخ منطو في الإفاضة وبذلك منقطع الإشارة.
- وكان يقول: لما شهد الكون الفاني بعين الغفلة موجودا مع الله تعالى قضى الله عز وجل بفنائنه غيرة لأحديته.
- وكان يقول: لو نطق العارف بلسان حقيقته لم يسع الكون الشهادي كلمة من كلماته.
- وكان يقول: كان الحق تعالى يقول يا من طلب مني خذ ويا من طلبني قف.
- وكان يقول: من مزج لك كأسا من التذكرة بذرة من بشريته فقد أذاك.
- وكان يقول: لو خير العارف بين مائة ألف خصوصية أو كشف حجاب لاختار أن يكشف له ذرة حجاب.
- وكان يقول: الحال ما جذبك إلى حضرته والعلم ما ردك إلى خدمته.
- وكان يقول: لولا ضيق المجاري كنت ترى النور جاري.
- وكان يقول: ما منعك من شم نسيم القرب إلا زكأمك ولا حجبتك عن شهود النور إلا ظلامك.
- وكان يقول: من تزايد له حب محبوبه بسبب جديد فهو في دعوى نهاية المحبة بعيد.
- وكان يقول: الحالة التي لا اعتراض عليها من ظاهر ولا باطن جمع لا شطح فيه وفرق لا شرك فيه.
- وكان يقول: من أبدى من أسرار الله تعالى ما لا يليق إبدائه وأفنى من العلم المكنون ما لا يناسب إفشائه عوقب بسوء الظنون فيه أو بما هو فوق ذلك من العقوبات.

وكان يقول: لو زال منك أنا للاح لك من أنا.

وكان يقول: لا ينال الشيطان من آدمي نيلا إلا إن نزل إلى أرض شهوته.

وكان يقول: إنما نفر العباد من الخلق لجهلهم بأسرار الله فيهم ولو عرفوا أسرار الله فيهم لأنسوا بهم كما أنس بهم العارفون.

وكان يقول: كلما دق الكشف الغيبي وخفي كان أعلى.

وكان يقول: كل دليل تستدل به على معرفة الله تعالى فانت أظهر منه.

وكان يقول: ما عمل العارفون في هذه الدار على حال ولا مقام وإنما عملوا على تحقيق انحيازهم إلى الله تعالى وأن كل في طي ذلك.

وكان يقول: كل ما كان من الموجودات بعيدا عن شهود اختياره قصر بقاؤه كالآدمي والحيوان تذكرة لأولي الألباب.

وكان يقول: سوابق العناية قبل نواطق الهداية، وكان يقول: أنت في الدنيا غير قار فيها والآخرة لم تصل بعد إليها فلم يبق إلا رجوعك إلى القريب المجيب.

وكان يقول: ما أكرم الله عز وجل عبدا بمثل نور أهبطه على قلبه.

وكان يقول: إذا تكلم العارف بكلمة غاب فيها وجود المستمع وذلك لأن الكلام ذكر والسماع أنثى والرجال قوامون على النساء.

وكان عليه السلام يقول: لو تنفس العارف في بلدة ثبت إيمان كل عبد فيها.

وكان يقول: أمام كل وصول غيبي عارض شهواني.

وكان يقول: كل عارف لا يميت وجوده أمام مريده لا يصل إلى مريده إلى الله تعالى.

وكان يقول: لا يصل إلى حضرات الأنوار إلا الخالص من الأسرار.

وكان يقول: ما نظر مرید لعارف بعين توقير ووداد إلا كان سالكا سبيل حق وارشاد.

وكان عليه السلام يقول: لا يباح التوحيد بالفهم إلا في محل التكليف خاصة.

وكان يقول: من تواجد بالفهم في موطن لم يصل إليه زل به قدمه عما كان

فيه إلى سفلى منه وإنما يباح ذلك لأنون له أو لمن هو تحت إشارة عارف.

وكان يقول: الواردات الربانية لا تصل إلى الفهوم وما وصل إلى الفهوم إنما هو من رشاش مائها ومن شعاع ضيائها.

وكان يقول: لا يلوح لك نور حقائق الإيمان حتى تخرج من عامة الأكوان.

وكان يقول: من علامة العلم الحقيقي إذا ورد على القلب أن تذهب الأمثال والصور، وإن كانت الأمثال الظنية سببا لأخذ الحقائق الأصلية.

وكان يقول: إنما خلق فيك ما خلق لتعرف به الأكوان لا لمكون فإنه لا يعرف الكون إلا به تعالى.

وكان يقول: مواد الحكمة منطوية في القوة الإنسانية وإنما يفضل الحكيم على غيره باستخراجها من قوته إلى فعله.

وكان يقول: الآدمي لا تقع عليه الإشارة لأنه نسبة تاهت في أنوار الفناء.

وكان يقول: إن كان لك في الوصول نية فلا تبقى منك بقية.

وكان يقول: ابن آدم ذو وجودات مطوية فتبصروا في خلالها فعسى يلوح لكم شيء من جمالها.

وكان يقول: لا يظهر جواهر الإيمان إلا وجود الامتحان.

وكان يقول: نيل الشهوات في الحياة الدنيا عذاب معجل مستور.

وكان يقول: الحقائق كلما بدت بوصفها خفاء في ظهور، وظهور في خفاء مددها من الواو في قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾^(١).

وكان يقول: ما ورد وارد عال له نهيه قط.

وكان يقول: المحققون قسمان مأنون له في الدلالة والإفصاح وغير مأنون له في ذلك.

وكان يقول: أمتعة الدنيا فيها لطف وبركة لأنها بساط لعطاء لا ينقطع وفضل لا ينحصر وإطلاق في عوالم البقاء والفسيح الأعلى.

وكان يقول: إذا مرت بك سحابة حقيقية غيبية فقف تحتها فهي إما أن تظلك وإما أن تبلك.

وكان يقول: من علامة عدم حرية الرجل نقله قدمه حيث قاده هواه.

وكان يقول: اثبت على حسن قصدك لتحقيق حصول مقصودك.

وكان يقول: من دليل استقامة المؤمن شوقه لما ليس فيه هوى نفسه وخوفه ورجاؤه مما لا يلائم نفسه.

وكان يقول: من عصر لك من ما ظاهر بشريته فأياك أن تشرب منه فإنه يجرك إلى اتباع الهوى وركوب الضلال ومن عصر لك من ما باطن خصوصيته فاشرب هنيئاً مريئاً فإنه الشراب النافع.

وكان يقول: كل كلام كنت مختاراً في قبوله ودفعه فنفعه عندك قليل وكل كلام قهرت على قبوله فذاك الذي يدفع بك إلى الأمر الحسن الجميل.

وكان يقول: المرید سيره بباطنه وظاهره تبع والعايد سيره بظاهره وباطنه تبع فالعايد يراقب أوراده والمرید يراقب وارداته.

وكان يقول: ما تعلم العلماء ليعصموا وإنما تعلموا ليرحموا وما تعلموا ليتحصنوا بعلمهم من الأقدار وإنما تعلموا لينفروا إلى الله تعالى باللجأ والافتقار.

وكان يقول: أحوال المعرفة غريبة جداً إن كانوا مع بشريتهم فحيتان في ماء وإن كانوا مع خصوصياتهم فطيور في هواء فهم إذا كانوا بوصف نفوسهم غرقى في بحار الدنيا وإذا كانوا بوصف أرواحهم جوالون في أفق العوالم الأعلى وأقل مكثاً في الدنيا من العوالم كلها ما كان أكثر شبهها بالعلم الأعلى وأقوى في الأصالة.

وكان يقول: كل ما كان فوق إدراك العقل لا يمشي فيه إلا بأحد أمرين إما بالنور أو بالاعتقاد.

وكان يقول: كلما قلت الحيلة من المخلوقات كثر من الخالق التوفيق والإعانات.

وكان يقول: أصل حجاب ابن آدم وقوفهم مع الظلال مع غيبتهم عن شهود حقائقها كما أنهم إنما حجبوا بالعلم لوقوفهم خلف حجابها دون حقائقه.

وكان ﷺ يقول: للشاكر في حال شكره لسان ينطق عن ربه إن الله تعالى يقول على لسان عبده سمع الله لمن حمده.

وكان يقول: حاجة الأستاذ لما فوقه أشد من فاقة murid إلى أستاذه.

وكان يقول: ميراب الأنوار إلى قلوب المریدین صدق المحبة.

وكان يقول: العارف في الدنيا بالغيرة لا لنفسه وغيره لنفسه لا لغيره.

وكان يقول: كلما وجه العبد قلبه إلى الله تالي انجمع وكلما وجه قلبه إلى الخلق تفرق.

وكان يقول: كل سبب فرقك فقد أفناك وأماتك وكل سبب جمعك فقد أحياك وأثبتك.

وكان يقول: المحبة جسد لأرواح الحقائق وباب لحضراتها، وكان ﷺ يقول إنما فر العباد من الناس لأنهم وجدوا منهم نتن جيفة الدنيا لظواهر بشرياتهم وإنما أقبل العارفون عليهم لأنهم وجدوا منهم طيب ریح الأرواح لباطن خصوصياتهم. وكان يقول: إن الله عز وجل ليغار على وليه أن يعرفه غيره.

وكان يقول: لا يعرف الولي حتى يعرف الله تعالى لأنه عنده فلا يعرف إلا بعد معرفته ولو عرف قبل معرفته لكان حجابا عن الله تعالى.

وكان يقول: للعلم بالله تعالى في هذه الدار طريقتان العلم الإلهامي للأولياء والوحي للأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وكان ﷺ يقول: الأعين في مناظرها أربع غين صحيحة الذات قوية النظر وهي عيون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعين صحيحة الذات ضعيفة النظر وهي عيون الأولياء ﷺ وعين موجودة الذات محجوبة النظر وهي عيون المؤمنين الغافلين وعين عمياء وهي عيون الكافرين الجاهلين.

وكان يقول: منذ حصر الأدميون في قوالب البشريات وسجنوا في سجون المظاهر الحسيات لم يأتيهم نفس العالم الغيب ولا شيء من شعاع أنوار المحل الكوني ولا علم حقيقي جديد إلا على أيدي الأنبياء والمرسلين ثم بوسائط أتباعهم من الأولياء والصديقين والعلماء العارفين وليس مع أحد منهم زيادة على ذلك إلا ما أوتوه في أوائل

فطرتهم فليس لهم علوم جديدة طرية إلا من تلك المنابع العلية القدسية.

وكان يقول: من عرف العارف تعب به العارف لأنه يصير حامل أثقاله في جميع تقلباته ومن جهل العارف استراح به العارف وكلما قويت معرفة العارف زاد افتقاره وإفلاسه وذلك لأنه كلما ازداد معرفة ازداد قربا وعند القرب تزول النسب إذ وجود النسب والأسباب لا يكون إلا مع البعد وإرخاء الحجاب.

وكان يقول: العارف في الدنيا كشمعة تضيء مع خفائها.

وكان يقول: لا نجاه يوم يخسر المبتلون إلا لنبي أو تابع أو محب.

وكان يقول: الأمثال للمريدين والحقائق للعارفين. ومثال العارف مثل رجل عندهم البحر فهو يغترف منه حيث شاء، ومثال المريد مثال رجل عنده جمد ماء قليل فهو ينتظر حله ليسيغه.

وكان يقول: إذا حاولت نفسك في فهم القرآن فذاك من عجيب حالك لأنك تريد أن تفعل فيما هو فاعل فيك.

وكان يقول: إذا بقى المؤمن يوما واحدا في الإيمان تمسك بأكثر من مائة ألف عروة كل عروة منها لا انفصام لها.

وكان يقول: إذا قاد الشيطان الإنسان إلى الذنوب والعصيان ولم يصبر بل رجع وتاب فكأنه ما انقاد له قط.

وكان يقول: إذا دعوت عبدا لغير هوى نفسه فاتقه ما أمكنك فإنه يعاديك بنفسه ويواليك بإيمانه.

وكان يقول: إذا أصلحت عملك أقبلت الجنة عليك وإذا أصلحت قلبك أقبل الحق سبحانه وتعالى بإحسانه إليك.

وكان يقول: إذا اجنب العبد بالغفلة ألف جنابة ثم ذكر الله تعالى مرة واحدة واستغفره كان ذلك مطهرا له من تلك الجنابات ومبيحا له الدخول في الحضرات.

وكان يقول: إذا حصل لك الأطيبان فلا تبال الإيمان بالله والعود بعد العود لله.

وكان يقول: والله لولا أن الله تعالى يريد ستر أوليائه في هذه الدار ما سلط عليهم

أحدا يؤذيهـم.

وكان يقول: استمع الكلمات الرادعة عن الغي والنصائح النافعة في زمن الرخاء قبل أن تبدو الحقائق بذواتها فإن أولها كتاب، وثانيها خطاب، وثالثها عتاب، ورابعها حجاب، وخامسها عذاب ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ أَيْدِي رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾^(١) الآية.

وكان يقول: نسبتك إلى الله تعالى بالتقصير خير من نسبتك إلى غيره بالوفاء والصدق.

وكان يقول: كان الحق تعالى يقول من طلب مني بما يبدو منه فقد طلب مني بوصفه فالحرمان إليه أقرب ومن طلب مني بوصفي فالكرم إليه أقرب.

وكان يقول: إذا نهيت النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى وإذا سعيت بقدم التقوى بما ليس للنفس فيه هوى كانت الحضرة هي المأوى.

وكان يقول: لو رفعت لك الستور لاحت لك السطور.

وكان يقول: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام استقرت حقائقهم في دوائر الغيب فهم بذواتهم هنالك ولهم رقائق في عوالم الشهادة وفاء بحق دوائر الظواهر والأولياء استقرت حقائقهم في عوالم الشهادة ولهم رقائق جواله في عوالم الغيب فالأنبياء تعدوا الحجاب بحقائقهم والأولياء تعدوا الحجاب برقائقهم.

وكان عليه السلام يقول: إنما يستجيب لمن دعاهم إلى الله تعالى بالاختيار العبيد الأحرار.

وكان يقول: رأس مالك في صلاح حالك وجود إقبالك.

وكان يقول: الصلاة المقبولة قطعاً هي التي اتصلت بالمتابعة الحقيقية.

وكان يقول: لو أن عارفاً بالله تعالى في مشرق الشمس ينطق بحقيقة ورجل محب له في مغربها لكان له نصيب من ذلك على حسب قسمته وتهذيب محبته.

وكان يقول: كل عمل فهو موعود بجزائه آجلاً إلا التذكرة فإن جزاءها

عاجل ما لها أجلا قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

وكان يقول: عزت معرفة العارفين أن تكون هذه الدار لآثارها مظهرا.

وكان يقول: لأن تلقي الله تعالى وقلبك مستنير خير من أن تلقى الله تعالى وعملك كثير.

وكان يقول: لسان الحس أعجمي ولسان القلب عربي فمهما وقع لك شيء يعجمه حسك ففسره بعربية قلبك تجد الهدى والبيان.

وكان يقول: القلوب على أصل سناجبتها لم تزل ولكنها إذا حركت بالتذكرة فإما تستقيم فيعينها الله تعالى وإما أن تعوج فيزيدها الله عوجا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾^(٢) الآيتين.

وكان يقول: القول بالحق وسماعه عبادة عمل به عامل أو لم يعمل.

وكان يقول: إنما اضطر العارفون إلى ملابسة الخلق والدنيا لإنقاذ من فيها من الغرقى وتخليص من بها من الأسرى وليتحملوا كثيرا من أكارها عن الضعفاء.

وكان يقول: لسان التوحيد في الدنيا غراب ينعق بفنائها وزوالها.

وكان يقول: لما كانت هذه الأمة أقوى الأمم بحقائق التوحيد كان لذلك أضعف الأمم أجسادا وأقلها أعمارا.

وكان يقول: لا واسطة في شيء من الأسرار المبتوثة في خواص بني آدم للملأ الأعلى وإنما الحق يوصلها إلى سرانهم بقدرته وما عدا الأسرار فلا يعمل قط منها شيء إلى الأسفل إلا بواسطة العالم الأعلى.

وكان يقول: ما خاطبك قط كونا وخاطبك إلا بغير حقيقتك الأصلية إلا الحقائق فإنك لا تتلقاها إلا بغير ذاتك الأصلية.

وكان يقول: لو باشر صريح الحقائق قلب المرید الصادق لم تسعه الأكوان.

وكان يقول: إذا علمت الحقيقة لم تظهر إلا على أشرف الخليقة كما أن نور

(١) سورة الناريات: الآية ٥١.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٣٤.

النبي ﷺ لما كان أعلى الأنوار لم يظهر إلا على أشرف الأبخار ﷺ.

وكان يقول: استقرار الحقيقة في ذهن السامع أكثر من استقرارها في ذهن الناطق لأن الناطق بها يشاهدها عينا فيقل زمن مكثها عنده والسامع يأخذها من شهادة فيطول زمن مكثها عنده.

وكان يقول: متى لاح لك نور فاستصحب منه شهودا أو محبة فقد حصل لك نصيب من ذلك.

وكان يقول: الأنوار العرفانية بارزة من غير محل البشرية فإن أردت أن تلقيا فلا تجعل البشرية شرطا فيها.

وكان يقول: متى سمعت كلاما عن رجل في كتاب أو نقل فإن لم يكن له نسبة في شهود حقيقته لم تنتفع بكلامه.

وكان يقول: إذا عرض الكون الدنيوي حجب وإذا عرض الكون الآخروي أوقف.

وكان يقول: لا يطفئ نور الحقيقة وشمسها هبوب هواء النفوس والدنيا لأن جواهرها مستقرة في فعر بحار القلوب ولا يصل إليها غواص النفس والهوى.

وكان يقول: لو لم يبعد العارف الحقيقة عن ذاته قليلا ما أمكنه التعبير عنها.

وكان يقول: إذا نظر العارف بعين بصيرته غابت الدنيا في مرآته لأن حدقة بصيرته أوسع منها.

وكان يقول: العالم الدنيوي محل ظهور المعنى الإنساني ومن بعد الموت إلى آخر الحشر محل ظهور النور الإيماني ومن مبتدأ دخول الجنة محل ظهور السر العرفاني.

وكان يقول: لله تعالى في كل حقيقة علم لا يعلمه فيها غيره والناس فيما دون ذلك متفاوتون.

وكان ﷺ يقول: القلوب الغافلة إذا سمعت الحقائق نفرت ولا يثبت لسماع الحقائق إلا قلب أراد الحق ترقيه.

وكان يقول: لا يظهر ولي في الدنيا قط بحقيقته وإنما يظهر بعلمه لا بعينه فإذا كان يوم القيامة أظهرهم الله بحقائقهم وأعيانهم.

وكان ﷺ يقول: يابن آدم ما أنصفت يدعوك داعي الدنيا بكلمة واحدة لشيء ذاهب كدر فان فتحبيه ألف يوم ويدعوك داعي الآخرة لشيء باق صاف ثابت ألف يوم فلا تجيبه يوما واحدا فليتك إذا لم تقدر الآخرة سويت بينهما.

وكان ﷺ يقول: من العجب كون الإنسان ينظر لشمس الدنيا فيستضيء بنورها وينتفع بأثارها وفي سر وجوده شمس أنوار وهو غافل عن شهود حقيقتها لظلمة ذاته الطينية.

وكان ﷺ يقول: ديننا هذا قسمان ظاهر علم وباطن حقيقة فظاهره مضبوط بالأصول والنقول وباطنه مضبوط بأنوار القلوب فمن أتاك بشيء منه فاستشهد عليه بما هو منه فالظاهر بشواهد والباطن بشواهد فمن قبل شيئا من ظاهر بغير نقل ثقة زل ومن قبل شيئا من باطن بغير شهود قلب ضل.

وكان يقول: من أحسن الأنوار نور يرد لى قلب المرید ولا يلوث بظلمة ولا غير ذلك إنما قصدهم جمع كلمة الدعاة إلى الله تعالى علوما ولا أحوالا ولا مقامات ولا خصائص ولا غير ذلك وإنما قصدهم جمع كلمة الدين باطنا كما هي مجموعة ظاهرا.

وكان يقول: لولا أن الله تعالى قيد الأرواح بقيدین ثقیلین لطارت إلى الله تعالى طيرانا، قلت: ولعل المراد بالقيدين الأمر والنهي.

وكان يقول: قلب العارفين يكتب وقلب المریدین يكتب فيه وقلب الغافلین لا يكتب ولا يكتب فيه.

وكان يقول: إذا بدت لك الحقائق وكان علما وإذا بدت فيك كان كشفا.

وكان يقول: العالم الرباني في الوجود كالقلب والوجود له كالجوف وما جعل الله تعالى لرجل من قلبين في جوفه ولو أن المدد الحقيقي ورد في هذا العالم من عارفين على السواء لسرى في قلوب الأخذيين وجود الشرك الخفي فافهم، قلت: مراده أن المرتبة في كل عصر لواحد في نفس الأمر والزائد أعوان له والله تعالى أعلم.

وكان يقول: ما ثبت على عبد خصوصية نفسين إلا طغى بها فإذا أراد الله تعالى به خيرا طهره من شهود أوصافه.

وكان يقول: المؤمن الذي يجاهد نفسه يختم الله له بالإسلام أكثر من مائة ألف مرة لتكرار موته في ذات الله تعالى بسيف الجاهدة.

وكان يقول: سيرك قدما واحدا على أثر قدم عارف أحسن من مائة ألف فرسخ تسيرها بهواك.

وكان يقول: كلمة الحكمة عروس كريمة فإن لم تجد كفؤا رجعت إلى بيت أبيها.

وكان يقول: أعلى مقامات الغفرة في الدنيا وجود الفتح الحقيقي وهو توفيق الولاية.

وكان يقول: العابد يسلم في عمره مرة واحدة والمريد يسلم في عمره كذا وكذا مرة.

وكان يقول: اتباع كل طائفة يأخذون بالإيمان واتباع هذه الطائفة يأخذون بالعيان.

وكان يقول: العارف لا قلب له يعيش به لأنه بربه لا بقلبه وكان بعض العارفين يقول عاش من لا قلب له وأنشدوا في معناه:

يقولون لو راعيت قلبك لا رعوي فقلت وهل للعارفين قلوب

وكان يقول: مكث الوارد يدل على علوه.

وكان يقول: لو كشف للعبد المؤمن أو العارف على ما في على قلبه لأشرفت منه الأكوان.

وكان يقول: لا بد أن يجلس الارفون في الجنة ويحدثون الناس حديثا فوق هذا من حديث الجنة وعملها وآدابها.

وكان يقول: أكثر الناس عطاء وكرما من جعل الله على يديه أرزاق عباده.

وكان يقول: يتكلم العارف مائة ألف سنة ثم إنه لا يقدم على الله تعالى إلا بوصف السكوت، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ قَالَوَالَا عِلْمَ

لَنَّا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْنَا الْغُيُوبَ ﴿١﴾

وكان يقول: لا بد للعارف من التنزل من على همته إلى درجة مریده ليربیه.

وكان يقول: الرجل الكامل يربى بالدائرتين بالأبوة والأمومة.

وكان يقول: لو لم يصبح واحد الزمان يتوجه في أمر الخلائق من البشر لفجأهم أمر الله عز وجل فأهلكهم.

وكان يقول: لأن تبیت وأنت في فضل الله طامع خير لك من أن تبیت وأنت ساجد راکع.

وكان يقول: من حضر في الحضرات فلا اسم له ولا صفة.

وكان يقول: إن الله تعالى يكسو خواص أهل الجنة خلعا لا لون لها.

وكان يقول: لو تجلت شجرة في الجنة بحقيقتها ما استطاع أهل الجنة أن ينظروا إليها.

وكان يقول: اليوم أنت تقول للكون أخبرني عن مكوني وفي الآخرة يقول هو لك أخبرني عن مكوني.

وكان يقول: من خرج عن محبة الدنيا سمي عابدا وزاهدا ومن خرج عن نفسه وعوالمها سمي عارفا.

وكان يقول: من عرف ما دون الله قبل معرفته لله حجب ومن عرف الله قبل معرفته لخلقه لم يحجب.

وكان يقول: لا تنظر في أفعال الواعظين تحجب عن فوائد أقوالهم ولا تنظر لذات العارفين تحجب عن فهم إشاراتهم.

وكان يقول: كيف تعرف خالقك بشيء هو خلقه فيك إذ كل مدرك له سلطان على ما أدركه ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ (٢).

وكان يقول: كل من ظن أن الحروف تثبت في خزانة حفظه فهو محجوب.

(١) سورة المائدة: الآية ١٠٩

(٢) سورة الأنعام: الآية ٨

وكان يقول: الجنة حقيقة هي إشراق عوالم الوصول.

وكان يقول: الناس حول صاحب الكلام الرباني كالعجم حول الفصيح فلا يشترط معرفتهم لذلك.

وكان يقول: خدمة أستاذك مقدمة على خدمة أبيك لأن أباك كدرك وأستاذك صفاك وأباك سفلك وأستاذك علاك وأباك مزجك بالماء والطين وأستاذك رفاق إلى أعلى عليين.

وكان يقول: من دخل الدنيا ولم يصادف رجلا كاملا يربيه خرج منها وهو متلوث ولو كان على عبادة الثقلين.

وكان يقول: إنما كان العبد يدخله الوسواس في الصلاة ولا يدخله إذا سمع كلام عارف وهو بين يديه لأن الصلي يناجي ربه والمستمع للعارف يناجيه ربه.

وكان يقول: من أعظم ممن الله تعالى على العباد أن يظهر بينهم عارفا وإن لم يعرفوه ولم يروه.

وكان يقول: إذا عرفت الله فلا تظن شرا فما هناك بعد معرفته شرا.

وكان يقول: إن الله تعالى ليستر عن العارفين كثيرا من مقاماتهم وكراماتهم حتى لا تخطر الدعوى على بالهم.

وكان يقول: إن الرجل العارف ليكون في سفينة والأولياء حوله مشاة على الماء يتلقون عنه ويأخذون منه وهو لو نزل معهم لغرق.

وكان يقول: كل ما حجبك عن الله تعالى فهو ذنب.

وكان يقول: أعظم ما يتنعم به أهل الجنة العلم الذي يعطيه الله تعالى لهم هناك.

وكان يقول: إذا دخلت حضرة لا أين فأين الأين انظر.

وكان يقول: الكامل من يستر باطنه بظاهره.

وكان يقول: إذا نفخ في الصور قال المريد الصادق سمعت هذا منذ زمان.

وكان يقول: معاصي أهل السعادة كالأوهام ومعاصي أهل الشقاوة تحقيق.

وكان يقول: سماعك من العارف كلمة أدب في لحظة أفضل من أدب أبيك لك ومعلمك في الأمر الظاهر عشرين سنة لأن العارف يؤدب روحك وغيره يؤدب نفسك.

وكان يقول: إذا حضر أحد من الأغيار مجلس العارف قيل له انفق الآن من خزانة فكرك واستر ما في خزانة قلبك حتى يحضر أخصاء مجلسك وتحضر قلوبهم معهم.

وكان يقول: من سقاك من جسدك فقط ظلمك ومن سقاك من نفسك فقد ظلمك ومن سقاك من عقلك فقد ظلمك ومن سقاك من شراب قلبك فقد أحياك.

وكان يقول: العلوم ثلاثة علم سلوكي فيجب إبداءه وعلم كشفي فلا يباح إبداءه وعلم سري فلا يباح إظهاره قط.

وكان يقول: الاطلاع على كنهه صفة أفعال الحق وأسرار تدبيره في مكنوناته وربط الأسباب بعضها ببعض والإشراف على وجه الحكم المبتوثة فيها تحقيق العلم بها وبأوصافها ونسبها متعذر على جنس البشر إلا من أيد بنور من الله تعالى فلم تنزل النفوس البشرية مستشرفة لعلم ذلك فإذا لاح بحسب ما ركب في طباعها أمور ظنية أو خيالية أو وهمية أو تجريبية أو تقليدية سارعت إلى ادعاء علم ذلك وهو غلط.

وكان يقول: ما من عبد يتوجه إلى الله بعمل إلا وينادي عليه أين قلب هذا العبد أتبتوا ديوان عمله أين كان قلبه.

وكان يقول: لا عذاب على أهل النار أعظم من عذاب حرمان الجنة.

وكان يقول: أول ما يجيب العارف إذا دعى إلى الله تعالى من الإنسان روحه فإذا سلمت من العوارض تبعت وإلا رجعت.

وكان يقول: شكل آدمي ما عدا أهل العصمة صنمي فمن أقبل عليه عبده ومن اعرض عنه وجد الله تعالى.

وكان يقول: إذا كان انطوى في ظل موسى عليه السلام سبعون رجلاً فسمعوا الكلام الرباني فكيف لا ينطوي في ظل المحمدية سبعمئة ألف وأكثر مع أن بعض أولئك حرفوا وكل هؤلاء عرفوا.

وكان يقول: ما أعز طريق القوم وما أعز من يطلبها وما أعز من يجدها وما أعز

من ثبت عليها بعد وجودها.

وكان يقول: إذا حضر المريد الصادق مجلس العارف سمع كلامه من جهاته الست.

وكان رضي الله عنه يقول لا يزال الوجود يمحو ما في لوح قلبك والنور يكتب فيه.

وكان يقول: مراد العارف أن يخرج المريد من الضيق إلى السعة في عالم الغيب

وكان يقول: لا يوزن عمل عبد إلا إذا تعرى من أنوار التجليات فإن لبس أنوار التجليات لم يسع عمله الميزان.

وكان يقول: من الرجال من يتمثل له اللقाम ومنهم من يشاهد اللقाम ومنهم من يذوق اللقाम.

وكان يقول: من أنفق عليك من خزانة نفسه فلا تقبل منه شيئا ومن أنفق عليك من خزانة عقله فاقبل أو اترك على حسب ما تلقح بنور الحكمة ومن أنفق عليك من خزانة قلبه فاقبل واستكثر ولا ترد من ذلك شيئا ومن أنفق عليك من خزانة غيبه فذاك الكنز الأكبر الذي يتنافس فيه.

وكان رضي الله عنه يقول: داعي الدنيا يدعوك من حيث تشتهي وتميل وداعي الآخرة يدعوك من حيث تشتهي وتميل وداعي الآخرة يدعوك من حيث تنفر وتكره وداعي الحقيقة يدعوك من حيث تفنى ويذهب شاهدك فلماذا تستجيب النفس سريعا للأول وتستصعب لاستجابة الثاني وتمتنع من الاستجابة للثالث إلا إن حفت العناية.

وكان يقول: لو أنطق الله لك صامت وجودك أو صامت الأكوام لقالوا لك مثل ما يقول العارف.

وكان يقول: والله ليس قصدي أن أذهب إلى الله بصحف أكتبها وإنما قصدي أن أذهب إليه بقلوب أجديها وأميلها إلى ما عنده وأحبه إليها.

وكان يقول: أعظم من الحجاب الحجاب عن الحجاب.

وكان يقول: لو صاح العارف ما وسع الكون صوته.

وكان يقول: إن الله قضى أن لا يصل إلى العلم الحقيقي إلا من أخذ قلبه عن شهود الأكوان.

وكان يقول: لو ذكر كون بكونه بالحقيقة لأحرقته أنوار التوحيد ولتلاشى وجوده حتى لا وجود له.

وكان يقول: من تكلم على الغيب من حيث هو لم يصح لأحد أن يأخذ عنه إلى القوي من الرجال ومن تكلم على القلوب من حيث هي هي صح عنه أخذ المريدين وتدريب السالكين.

وكان يقول: كأن الحق تعالى يقول لعباده العارفين بلغوا عني حاجتي وأوضحوا لعبادي محجتي وأنا أكتب لكم ما لا تبلغونه بأعمالكم ولا بمحاسن أحوالكم.

وكان يقول: وجودك هذا البشري قذى في عين بصيرتك فلو زال عن عين بشريتك قذاها رأت ماءها ومرعاها وأبصرت رشدتها وهداها.

وكان يقول: أهل كل زمان يحتجون بأصوات مختلفة والمحق الصادق والواصل منهم قليل.

وكان يقول: حقيقة الطريق أن تكون مفلسا وأن تكون طالبا للأعلى أبدا ومتى ظننت أنك وصلت فما وصلت ومتى ظننت أنك ظفرت فما ظفرت ومتى ظننت أنك حصلت فلا حال لك.

وكان يقول: العارف يتلون في اليوم واللييلة مائة مرة والعابد يقيم على حالة واحدة كذا وكذا سنة وذلك لأن العارف مائل إلى دائرة التصريف العابد مائل إلى دائرة التكليف.

وكان يقول: علامة الفتح أن ترى الناس كلهم نياما.

وكان يقول: لما صاح العارفون في الدنيا صاححت لهم الحقائق في المبدأ الأعلى ولو أنهم سكتوا لم تسكت حقائقهم.

وكان يقول: كل كون في الجهة فهو غيب من غيوب الله عز وجل.

وكان يقول: أول هذا الأمر سماع وتصديق ثم فهم وتدقيق ثم شهود وتحقيق.

وكان رضي الله عنه يقول: في قول سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه: طوبى لمن رآني أو رأى من رآني أو رأى من رأى من رآني، الرائي على ثلاثة أقسام راء محجوب وراء نافذ وراء وارث، فالرائي المحجوب لا عبرة به والرائي النافذ هو المقصود والرائي الوارث يقول مثل قوله.

وكان يقول: كل كون يسبح يقول في تسبيحه أنزه خالقي عن إدراكي له.

وكان يقول: إذا نودي عليك في السماء ليعرفك أهل السماء فماذا عليك أن ينادي في الأرض أن يعرفوك فكل من جهلك فقد فاته حظه منك فأضر بنفسه لا بك.

وكان يقول: لو دخل الخاص طريق العام احترق إلا أن يقع التنزل بأمر من الله عز وجل.

وكان يقول: من عبر عن التصوف فليس بصوفي ومن شهد التصوف فليس بصوفي إنما التصوف أن يغيب العبد عن التصوف.

وكان يقول: لأصحابه من يبشروني بحضور قلبه أبشره بالوصول إلى أمر عظيم.

وكان يقول: من الكلم كلمة تحتها ألف كلمة وإن من الكلم كلمة تحتها مائة ألف كلمة وإن من الكلم كلمة تحته بحار لا يحاط بقطراتها ولا يدرك عظيم غاياتها.

وكان يقول: قلب كل مؤمن ليلة قدر جسده وليلة قدر كل سنة قلب عامها.

وكان يقول: المریدون على قسمين من مرید يعرض ما یرد علیه من مریبه على عقله قبل أن يصل إلى قلبه ومرید لا يعرض ذلك على عقله بل يصل إلى قلبه ببادئ الرأي وهذا أقرب إلى النفع وفي كل خير.

وكان يقول: إذا اعترضت النفوس للمالكين أوقفتمهم عن مزيد الأذكار وتحميل الطاعات وإذا اعترضت للعارفين حجبتهم عن لذيق المشاهدات والارتقاء إلى أعلى الدرجات فالنفس مانعة للفريقين عن السير.

وكان يقول: ألجمت النفوس في مفتاح التوحيد بلجام (لا) حتى ترجع عن جميع دعاويها.

وكان يقول: الكأس العلياء هي التي لا يشربها صاحبها وحده.

وليكن ذلك آخر ما التقطناه من كلامه رضي الله تعالى عنه.

٢٩٠- ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ محمد بن عبد الجبار النفري رحمه الله:

كان من أهل القرن الرابع هـ ولكن هكذا وقع لنا ذكره وإن كنا لم نلتزم ذكرهم على ترتيب الرمان، وكان له رحمته كلام عال في طريق القوم وهو صاحب المواقف نقل عنه الشيخ محي الدين ابن العربي رضي الله تعالى عنه وغيره وكان إماماً بارعاً في كل العلوم.

ومن كلامه رحمته في المواقف يقول الله عز وجل: كيف لا تحزن قلوب العارفين وهي تراني أنظر إلى العمل فأقول لسينه كن صورة تلقى بها عاملك وأقول لحسنه كن صورة تلقى بها عاملك.

وكان يقول: قلوب العارفين تخرج إلى العلوم بسطوات الإدراك وذلك كفرها وهو الذي بينهاها الله عنه.

وكان يقول: كان الحق تعالى يقول إذا تعلق العارف بالعرفة وادعى أنه تعلق بي هرب من المعرفة كما هرب من النكرة.

وكان يقول: كان الحق تعالى يقول لقلوب العارفين أنصتوا واصمتوا لا لتعرفوا وإن ادعيتهم الوصول إلي فأنتم في حجاب بدعواكم ووزن معرفتكم كوزن ندمكم فإن عيونكم ترى المواقيت وقلوبكم ترى الأبد فإن لم تستطيعوا أن تكونوا من وراء الأقدار فكونوا من وراء الأفكار.

وكان يقول: اتقوا الحكمة من أفواه الغافلين عنها كما تلتقطونها من أفواه العامدين لها فإنكم ترون الله وعبده في حكمة الغافلين لا في حكمة العامدين.